ومضات مشرقة للحضارة العربية الإسلامية

من خلال كتاب إسبانيا في تاريخها



رشيد الاركو
وحسن أجمولة وحاتم البوعناني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومضات مُشرقة للحضارة العربية الإسلامية من خلال كتاب "إسبانيا في تاريخها: المسيحيون والمسلمون واليهود" لأميركو كاسترو

رشيد الاركو / حسن أجمولة / حاتم البوعناني

بسم الله الرحمن الرحيم.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أما بعد،

فإن كتاب "إسبانيا في تاريخها: المسيحيون والمسلمون واليهود" كتاب مهم في تاريخ إسبانيا، فهو يعد موسوعة أرّخت بإسهاب لنحو خمسة قرون من تاريخ إسبانيا الإسلامية، و هو مهم أيضا للباحثين في الحضارة الإسلامية، لما يحتويه من شهادات في حقها، فقد كان تأثيرها –أي الحضارة الإسلامية– كبيرا في تكوين الهوية الإسبانية، شمل مختلف الأصعدة والمجالات، سواء من الناحية اللغوية أوالأدبية أوالعلمية، وحتى الدينية، فقد كان التأثير شاملا.

و قد حاولنا في بحثنا هذا استخراج المعالم والملامح المُشرقة للحضارة الإسلامية كما وردت في هذا الكتاب.

و الحمد لله رب العالمين.





❖معلومات عن الكتاب

- اسم الكتاب: إسبانيا في تاريخها: المسيحيون والمسلمون واليهود
- اسم المؤلف: أميركو كاسترو
- ترجمة: على إبراهيم منوفي
- مراجعة: حامد أبو أحمد
- الطبعة : الأولى
- السنة : 2003م
- دار النشر: المجلس الأعلى للثقافة
- إشراف: جابر عصفور

✓ نبذة تعريفية عن الكاتب :

أميريكو كاسترو كيسادا بالإسبانية (Américo Castro)، فقيه لغوي ومؤرخ ثقافي إسباني، وُلد في كانتاجالو في ولاية ريو دي جانيرو بالبرازيل في 4 مايو عام 1885، انتمى كاسترو إلى جيل عام 1914. وتُوفي في يوريت دي مار في إسبانيا في 25 يوليو عام 1972.

✓ **محتويات الكتاب:**

تم تقسيم الكتاب إلى إحدى عشر فصلا وكل فصل يحتوى عددا من العناصر، ويتضمن الكتاب موضوعات مهمة وهي كما يلي:





- شروق عقدة و مغيبها

الفصل الخامس:

- الجماعات الحربية– الحرب المقدسة– التسامح.
- الجماعات الحربية
- الحرب المقدسة
- التسامح

الفصل السادس:

- الإبداع الأدبي و نمط العيش
- الإسلام و الحياة الروحية للإسباني المسيحي
- سمات خاصة بالشعر الملحمي القشتالي
- ملحمة رولان و ملحمة السيد
- هذه هي الوقائع الجديدة للسيد
- تلك هي قصة سيد القنبيطور
- الموروث و الحاضر

الفصل السابع:

- الفكر و المشاعر الدينية
- إطلالة خاطئة على قطالونيا
- كتاب الصديق و المحبوب
- الموضوعات الأخلاقية في قشتالة حتى القرن الرابع عشر
- الدين والأنماط الحميمة للوجود
- الزهاد و المتصوفة
- قصائد مديح العذراء لألفونسو العالم





الفصل الثامن:

- مواقف جديدة مع نهاية القرن الثالث عشر

الفصل التاسع:

- كتاب الحب المحمود لقمص إيتا (خوان رويت)
- نحو معرفة مغزى كتاب الحب المحمود
- موضوع السعادة
- حالة مسيحية–إسلامية خاصة
- ازدواجية المعنى في كتاب الحب المحمود
- الداخل و الخارج و تكامل البيئة الشعرية
- تجربة الوجود في عالم متذبذب
- الباعث الحيوي و القدرية و الشخصية
- مغزى تروتا كوبنتوس

الفصل العاشر:

- اليهود
- التفوق من أسفل
- ألفونسو العالم و اليهود
- استطراد جديد حول الأسلوب الملحمي
- الأدب بهدف المتعة أو المسرحية لم يكن موجودا
- و عودة إلى اليهود
- الأطباء اليهود
- جباة الأموال و الضرائب
- أنشطة أخرى مارسها الإسبان العبريون



- التكافل المسيحي اليهودي
- التطهير العرقي و محاكم التفتيش
- الأدب اللاحق على دون شيم طوب من وجهة نظره
- بعض البيانات الإضافية حول أرغن و البرتغال

الفصل الحادي عشر:

- نتائج تعتمد على ما سبق عرضه
- سلالات أكثر منها طبقات
- نمط الحياة الإسبانية: تكامل الفرد و غيبة الفكر الموضوعي حول الشريف
- ختاما مؤقتا

✓ **أهمية الكتاب**: لهذا الكتاب أهمية قصوى حيث أنه تناول موضوع " إسبانيا في تاريخها المرتبط بالمسيحيين والمسلمين واليهود "، و قد وضح فيه الكاتب ما للحضارة الإسلامية من تأثير في تكوين الهوية الإسبانية.

✓ و قد وزعنا الملامح المشرقة للحضارة العربية الإسلامية المستنبطة من خلال هذا الكتاب على ثلاثة أبعاد أساسية:

✓ البعد القيمي

✓ البعد اللغوي الإبداعي

✓ البعد المادي

أولا: البعد القيمي

- " أما المسلمون فقد توسعوا بمرونة وهم يحملون على ظهورهم ميراثا دينيا و سياسيا وكذلك أصداء أفضل الثقافات الخاصة بالعالم القديم، وسرعان ما أعادوا الحياة إلى تلك الأصداء، كما امتلك الأدب العربي– منذ القرن السابع– ثروة هائلة من الأفكار ووسائل التعبير التي لا يمكن أن نجد لها مثيلا في رومانيا **Romania**، إذ يتحدث النحاة عن الفرزدق (المتوفى عام 722 م) بقولهم أنه "لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة العربية"[1]
- " وبقيت أعداد كبيرة من الجماهير المسيحية تحت السيطرة الإسلامية (المستعربون)، واستمر هؤلاء في ممارسة حياتهم في ظل التسامح الإسلامي طوال أربعة قرون إلى أن هبت الغزوة المرابطية (1090م) و تلاها الموحدون (1146م)، وهي قبائل إفريقية متعصبة استطاعت القضاء على هؤلاء المستعربين"[2]
- "و عندما اختلف ذلك النموذج الشهير لتسامح الإسلامي وجدنا المسيحيين والمسلمين لا يتعايشون بشكل مثالي، وكانت مشكلة متعصبة على الحل"[3].
- " وهناك العديد من التقاليد الرفيعة التي لا تفهم لها مدلولا إلا من خلال السياق الإسلامي، فعندما يرى أحد الأصدقاء شيئا جديدا ذا قيمة ويثني عليه فإن التقاليد تشير إلى أن نقول "تفضل" "[4]
- " فلقد كان الإسبان المسيحون يعيشون تحت أفق التسامح الذي وضعه الإسلام وأسسوا حياتهم على هذه القاعدة، فهذه هي الحياة التي كانوا يعيشونها...والقرآن الذي جمع بين الجهاد والزهد في الحياة هو مثال عظيم للتسامح ...وقد نوه القرآن الكريم بالفكرة الصوفية

---

[1] إسبانيا في تاريخها، المسيحيون و المسلمون و اليهود، أميركو كاسترو، ترجمة: على إبراهيم المنوفي، ط1 2002م، ص ص 59

[2] ص 60

[3] ص 67

[4] ص 105





القائلة بأن كل الطرق تؤدي إلى الله...يسير المسلم تحت وهج الشمس أويسبح بخياله نحو آفاق بعيدة وقابلة للانتقال رغم رسوخها في أعماق قلبه، لايفزعه التعايش مع الغرباء أو قربهم، فقد كانت قرطبة تغص بالمسيحيين و اليهود ويختلط بهم العبيد السلافيون...وقد ترك المسلمون الناس الذين يتركون ذويهم في سلام"[5].

- "فلقد كان التسامح الإسباني إسلاميا و ليس مسيحيا"[6]
- " و قد أدى الاتصال الروحي بين أديان التوحيد الثلاثة–خلال فترة التعايش المسيحية الإسلامية اليهودية– إلى أن يستند ألفونسو العالم إلى ما ورد في القرآن لبناء نظريته في التسامح دون أن تكون هناك غضاضة في نظر الكنيسة"[7]
- " أصبح جليا أن المرونة الدينية خلال القرون الوسطى أمر لا ينفصل عن الروح الإسلامية التي رأيناها"[8]
- "الآثار التي خلفها الإسلام في أعماق النفس الإسبانية، وخاصة ما يتعلق بالحياة الداخلية للمرء... ولقد عاش المسيحيون قرونا تحت الأفق الأخلاقي للإسلام، وبالتالي لابد من تأثيره في الوعي على المدى الطويل."[9]
- "ويشعر المرء بشيء من الدهشة عندما يرى أن المسيحيين لايتعلمون من المسلمين التوجهات الثقافية والصناعية رغم أنهم قلدوهم في الكثير بما في ذلك، رد فعل تجاربهم الباطنية... ما هي إلا نتيجة رد فعل لا شعوري إزاء شهرة المسلم وإشعاعا الثقافي على المسيحيين"[10]
- "كان المسيحي يعتبرها[أي تقليد المسلم]من الآثام أوضارة، و رغم ذلك لم يتخل عن الاطلاع على ما يقوله المسلمون وما يكتبونه".[11]

---

[5] ص ص 241-242
[6] ص 244
[7] ص 246
[8] ص 247
[9] ص253
[10] ص 261
[11] ص 267.





- "في قشتالة فقد كان الرجل المحارب والمقدام، هو الذي أصبح محط كل الإرادات، إلا أن تقدير السمات الشخصية سوف يعتمد على الأسس نفسها التي عليها النموذج الإسلامي أكثر من الاعتماد على إعلاء شأن الهالة الأسطورية لكل ما هو قائم."[12]
- "قد حفظ لنا التاريخ العربي وصفا لشخصية المنصور وهذا بفضل الحياة المتفتحة التي كان عليها المسلمون، حيث كانت تحتضن داخلها كافة الظواهر الأخلاقية أوالبطولية التي تصادفها".[13]
- "شخصية ريمون لول (1232-1315م)....كانت ضمن الإطار الإسلامي المسيحي للحياة الإسبانية، ورغم هذا فموقع لول في ذلك الإطار يتفق مع الوضع الذي كانت عليه قطالونيا آنذاك... وما يهمنا الآن هو هذه العلاقة مع الإسلام كمنهج حياة وليس نظرية لول تعتبر كاثوليكية وأرثوذكسية في نظر الجميع بما فيهم الأكثر تشددا كما يوجد حولها الكثير من المراجع العلمية."[14]
- يصف أميركو كاسترو المعالجات الروحية الإسلامية بالبساطة الجميلة ويقول أيضا كما ندين لها أيضا بعبق الحقول الخضراء، كما أن البراءة الواثقة هي الأساس في الانطباع بالنسبة لما هو قريب و ما هو بعيد."[15]
- يقول السيد خايمي حين وصلته رسالة من ملك بلنسية المسلم "لم أبلغ هذه الكلمات لأحد في جيشي ... فقد كان هناك الكثيرون مما لا يروق لهم غزو المدينة و يفضلون أن تكون في يد المسلمين"، و عندما أبلغ النبلاء باستسلام بلنسية امتقعت وجوههم وكأن سهما غرز في قلوبهم."[16]

---

[12] ص 270.
[13] ص 271
[14] ص 322
[15] 324
[16] ص 328 بتصرف





- "كان يوجد في اسبانيا القرن الثالث عشر(المنطقة القطالونيا) صوفية مطعمة بالمفاهيم الإسلامية."[17]
- "فحوى الأمر هو أن اللاشعور عند قشتالة كان مترعا بالمفاهيم الإسلامية اليهودية خلال القرنين 12 و 13م ."[18]
- "لقد أفاد المسيحي من المور، كما آسرته الحضارة الإسلامية المتفوقة في كثير من جوانبها."[19]
- "لكن الإسلام بقى رغم الطائفية و الخلافات والسبب هو أن القرآن هو الجوهر وهو إعلان الإيمان (لا إله إلا الله) ... ولقد عاش أبناء الدول الإسلامية – وكذا الحكومات– خاضعين للعقيدة سواء من الناحية الفقهية أوالحكومية."[20]
- "أما فيما يتعلق بالجانب الديني أوالأخلاقي في العصور الوسطى المسيحية فنجد أن المرأة هي رمز الإثم، وهي في الأدب العربي–خلال نفس الفترة– رمز وحافز للتوجه إلى الله، ولا يقتصر الأمر على كونها جميلة ..."[21]
- يقارن أميركو كاسترو بين المسيحية فيقول:" الإنسان المسيحي يجب عليه أولا الاعتراف بهذا التدرج الذي يضم أعوانا للرب وهم وحدهم المخولون بتنفيذ الطقوس الدينية وتوجيهها الوجهة الصحيحة ...لكن الإسلام له موقف مختلف فليس هناك رجال دين أوسلطة دينية متدرجة ... والعلاقة بين الله و المؤمنين مباشرة كما أنها كذلك بين الله و الرسول ويتم كل هذا من خلال الصلاة والأعمال الروحية الأمر الذي يتضمن نوعا من المواقف الشخصية الأكثر تحررا بالمقارنة بالحالة التي عليها المسيحي."[22]
- " و تحسنت أحوال اليهودي مع مجيء المشارقة وشاركوا هؤلاء السيطرة على طليطلة على القرن 8م، و سرعان ما ساروا على عادات جديدة و أصبحوا من البارعين في ميدان الأدب

---

17 ص 338
18 ص 339
19 ص 351
20 ص 359
21 ص 363
22 ص 368





العربي، و عندما بلغ الإسلام في إسبانيا أزهى عصوره السياسية خلال القرن 10م، بدأت الشخصيات اليهودية الكبرى في الظهور على الساحة فها هو حاشداي بن بشروط(910–970)، الرجل الذي مارس مهنة الطب ووزير المالية و سفيرا لعبد الرحمن الثالث..و هناك صموئيل بن نعريلا – الذي عاش خلال الفترة من 988–1055م– حيث أصبح وزيرا لملك غرناطة..و في مملكة سرقسطة احتل أبو الفضل بن حاشداي مركزا مماثلا في عام1166م، المولود في طليطلة، و كذلك شالوم بن جابيرول (1021–1052) بن مدينة ملقة، والطليطلي يهوذا أل ليفي (1070–1140)، وعلى رأس كل هؤلاء ابن ميمون القرطبي الذي عاش خلال الفترة من 1130 حتى 1204م...لنقول أنه لم يكن ممكنا أن نرى هذه الشخصيات الكبيرة من دون الإسلام الإسباني..."[23].

- **"... فالإسباني ابن القرن 16م، كان يشعر بالكدر والرضا معا، وهو في تلك الدائرة التي ترك له البناؤون والمفكرون في الدائرة الروحية الإسلامية التي أخذت تشتد وثيرتها باختفاء اليهود من الساحة..."[24].**
- **" و لقد أدرك كل من العربي و الإسباني المتأثر بالحضارة الإسلامية..."[25]**
- **"...نجد أن المؤلف يلاحظ كيف أن هذه الحركة التي نراها بين المسلمين الإسبان سرعا من انتشرت خارج هذه المنطقة و أشرقت كأنها الفجر على المسيحيين الأوربيين الذي كانوا شبه نائمين في العصور الوسطى".[26]**
- **"كان هناك بعض من كبار علماء اليهود في بلاط ألفونسو العاشر ... وتمثل عملهم في تقريب المعين الثقافي الإسلامي المشوق"[27]**
- **"كما أن البلاط الإسلامي في خلال القرن 9 و 11م، يضم المتعاون اليهودي في إطار العقيدة الإسلامية..."[28].**

---

[23] ص 540
[24] ص501
[25] ص 502
[26] ص 544
[27] ص 448





- " و رأينا أيضا أن ازدهار المعارف اليهودية في إسبانيا- قبل القرن الثالث عشر- لم يكن من عند اليهود بل كان مرتبطا بالثقافة العربية"[29]

[28] ص 584

[29] ص 699





ثانيا: البعد اللغوي الإبداعي

- " اللغة: اللغة هي خير برهان، فهناك ألف المفردات العربية في اللغة الإسبانية و البرتغالية، وهذا انعكاس لحاجات و ضرورات ملحة...أما العنصر العربي في اللغة الرومانية الأيبيرية فيرجع إلى ضرورة ملحة تتعلق باستيراد الحاجيات التي هي ثمرة القدرات الإنتاجية العربية المتفوقة، و تتعلق تلك الوردات اللغوية العربية بمناحي شتى في الحياة إذ تشمل الزراعة و تشيد المبادئ و الفنون و الحرف المختلفة و التجارة و الأدوات العامة و العلوم وشئون الحرب، و من الدلالات البالغة أن ألفاظ مثل: **tarea** أو **tarefa** بالبرتغالية هي مفرد عربي بمعنى (طريحة)...و لهذا فالكلمات التالية هي من أصول عربية..**alcazar** (القصر) **alcoba** (القبة) **azulejo** (الزليج)...و العديد من الكلمات الأخرى...أما فيما يتعلق بالعلوم فنلاحظ أن الملك ألفونسو العالم قد اتخذ الكثير من أسماء النجوم (مثل **caldebarau** على سبيل المثال)،... كما يجب ألا يغيب عنا أن كافة المسميات ذات الأصل العربي لم تكن تشير فقط إلى المُحسات فهناك بعض الصفحات الأخرى مثل: **rahez** و **gandul** و **zaharreno**و **jarifo**و **garrido**... وأتصور أن كلا من **reacio**و **mohin** من أصل عربي. "[30]
- "تأثيرات قرآنية: هناك تعبيرات قرآنية يتم تداولها في لغة الحياة اليومية، ومن يقرأ القرآن بعناية سيعثر على الكثير و نقول على الألف من الأقوال و الأمثال الإسبانية، فيقال بالإسبانية –مجاز–"إن فلان حمار محمل بالعلوم" وهذا معناه أن القيمة الثقافية لذلك الإنسان ضعيفة رغم أنه يعرف الكثير...وعندما نقرأ القرآن نجد أنه يوضحها بجلاء لا لبس فيه، إذ تقول الآية (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفار)[31]."[32].

---

[30] ص ص 75-76-77-78

[31] سورة الجمعة الآية 5

[32] ص ص 91-92



- " كما أعتقد أن صدى لفظ الجلالة "الله" يكمن في كثير من الحالات خلف المسمى المسيحي **Dios** و يحدث ذلك في عبارة التعجب ! **Olé** (الله أو بحق الله) التي تنطقها لمزيد من مصارعي الثيران أو الراقصين."[33]
- "و قد وهب الإسلام أوربا علوم الرياضيات و الفلسفة و الطب و الشعر و تقنيات مختلفة، كما قدم له مدنا تتسم بجمالها مثل أشبيلية و قرطبة والمرية، وهي مدن كانت لها صلات تجارية بشمال أوربا، أمام الممالك المسيحية فلم تكن قادرة على التباهي بشيء اللهم إلا أن العناية الإلهية أحاطت بهم و هيئة لهم رفات سانتياجو"[34].
- "و قد كان من المستحيل على المسيحي أن يقلد العلوم و الفلسفة العربية دون أن يقرر– عن وعي – تربية نفسية على أيديهم...و حتى القرن 13م كان الفكر الإسلامي الشيء الوحيد الذي يعتبرا فكرا بمعنى الكلمة في أوربا، لهذا اتخذ الإسبان المسيحيون موقفا عدائيا–بصفة عامة– ضد العلوم العربية الوحيدة في الساحة، وهما بهذا يشبهون ما فعلته روما برفضها الفلسفة و الفكر اليونانيين، مع وجود فارق يتمثل في أن روما– بقوتها و سطوته– لم يكن لديها من الأسباب ما يجعلها تخشى العبقرية اليونانية مقارنة بالإسبان المسيحيين خلال القرن 19 حيث عاشوا موقفا دفاعيا أمام جحافل جيش خليفة قرطبة."[35]
- "و يدين تاريخ هذا البلد [إسبانيا] كثيرا للإسلام... فلقد كانت إسبانيا إسلامية خلال العصور الوسطى و في نفس الوقت مسيحية و أوربية...التاريخ الإسباني سواء في البعد اللغوي أو الأبعاد الأخرى، هو واقع تم تصويره، و لا يمكن فهمه إلا بالجمع بين ما هو لاتيني و مسيحي و أوربي و ما هو إسلامي ويهودي، و في هذا الإطار الشامل نجد أن كل العناصر كانت شديدة الثراء و عالية القيمة"[36].
- "نجد أن رصيد لاسميهم الإسلامي له قيمته الكبيرة، وأدى بالتالي إلى التأثير على بنية الأنواع الأدبية... ومن خلال اللغة و الحياة و التعبير الأدبي يجمع المسلم بين العام و الخاص و

---

[33] ص 107

[34] ص 162

[35] ص 263 بتصرف

[36] ص ص 263-264



المجرد و الملموس، و الروحي و المحس، والغث و الرفيع، كل ذلك في وحدة واحدة، ومن هنا يصبح مستحيلا على الإنسان الأوربي-شريطة ألا يكون صغير السن- السير بخطوات وثيقة في دهاليز و أسرار اللغة العربية التي يعتمد الجانب الدلالي فيها على حدس و تخمين لا يخطر على بال العقلية الهندسية الأوربية."[37]

- "اللغة العربية بفضل السهولة المتوفرة فيها و المتمثلة في إزالة الحدود بين ما هو روحي وما هو مادي، لهذا نجد المسيحي لم يتمكن من الفرار من إعجابه الشديد بما هو إسلامي"[38].
- "إن قشتالة لم تتوفر على ثقافة من النوع الرصين و على لاهوت، و كلاهما لم يكن متوافقا مع أوربا، فالثقافة العربية و التقنية اليهودية، كان لهما تأثيرهما القوي على المسيحية الإسبانية التي كانت في حالة ضعف ثقافي واضحة، فلم يكن هناك شيء يمكن أن نضمه إلى ما يسمى بعصر النهضة خلال القرن 12م... ذلك أن الإسبان المسيحيين، قد تأثروا بالفكر والعلوم الإسلامية و لكن بدرجة ضعيفة."[39]
- "إن الأسباني المسيحي مرتبط أشد الارتباط بأوربا و يأخذ منها كل ما يمكن الحصول عليه، و هذا ما تؤكده لغته و إبداعاته الأدبية، كما أنه يحتفظ بتفرد واضح لا يمكن كبح جماحه، وهذا يرجع في الأساس إلى الآثار التي طبعت في روحه بفضل التعايش مع الإسلام"[40].
- "نجد رويات و قصص من مثل: **novela, realto, cuento de vieja, neuvas**.. ، كلها على صلة باللغة العربية، ذلك أن الشرق كان مورد الرئيسي للقصص والحكايات، كما أن أول مجموعة من القصص في أوربا ترجع إلى أصول شرقية و هي : **disciplinas clericales**، (الوصايا اللاهوتية)، حيت ترجمت من العربية إلى اللاتينية"[41].

---

[37] ص 265.
[38] ص 267 بتصرف
[39] ص 277
[40] ص 282
[41] ص 291 بتصرف





- "نلاحظ أن بعض المفكرين المعاصرين مثل: أورثيجا أي جاسيت، ولويس بليس، يذكروننا بابن رشد وابن حزم وابن خلدون أكثر من تذكيرنا بأرسطو وديكارت وكانط."[42]
- "اتسمت محاولة إنتاج أدب في العشق (الإلهي أو الإنساني) بفقرها خلال الفترة بين القرن 11و 13 هذا إذا ما عثرنا عليها في اللغة القشتالية، فلقد كان الجو مشحونا ما هو إسلامي وبتالي فأي محاولة للتعبير الحميم كانت قد جذبت قشتالة نحو المعسكر الإسلامي وليس نحو إسبانيا المسيحية."[43]
- "أما القرآن فهو الكتاب الذي يرتله الجميع و هو مكتوب بنفس اللغة التي لازال المسلمون يكتبون بها حتى اليوم و هي اللغة العربية و هذا هو السر في عدم تحولها إلى لهجات أدبية."
- "قمص إيتا يدين للإسلام بكيفية مواجهته لنفسه ومواجهة الأشياء المحيطة به، وهذا أمر غير مفهوم في باقي الآداب الأخرى، و مع هذا فقد أسس بناء و إبداعا ليس إسلاميا ولو أن المبنى لم يكن ليوجد دون البعد الحيوي للإسلام... و لقد ساعد التراث العربي الإسلامي العظيم قمص إيتا على القيام بلعبة الرفيع الوضيع وشرعية السلوك و عدم مشروعيته."[44]
- "يمكننا أن نعثر عليها في الشعر الإسباني العبري التي نقلت النماذج العربية نقلا حرفيا."[45]
- "يرى جولدزيهر أن ابن حزم هو الأفضل لتميزه الشديد... وما يهمنا في هذا المقام هو أن كتاب ابن حزم انتشر في أرجاء إسبانيا المسيحية سواء شفاهة أو بأي شيء كان "[46]
- "قد عثرنا في عام 1601م، على تأثير كتاب طوق الحمامة في كتاب أحد رهبان جماعة الكرمل و هو جوزيف دي خيسوس ماريا بعنوان" مزيا الفضيلة والمحموداف"."[47]
- "القالب العروضي و الشعري الذي استخدمه ألفونسو العالم ليس من فرنسا بل هو القالب العربي المسمى الزجل وقد جاء ذلك إما بشكل مباشر (إذ كان بلاط ألفونسو العالم يعج

---

[42] ص 306
[43] ص 338
[44] ص 464
[45] ص 451
[46] ص 453
[47] ص 454





بالعلماء المسلمين)، وإما بشكل غير مباشر أي من خلال الأدب الجليقي الذي كان يستخدم ذلك القالب الشعري قبل ذلك بزمن طويل."[48]

- "و كانت العربية هي اللغة المستخدمة بين عملاقتهم (نذكر هنا ابن ميمون)، ورغم ذلك كانوا يكتبون بالحروف العبرية، ومن الواضح أن تفوقهم على أقرانهم في أوربا يرتبط بتفوق الإسلام على المسيحية خلال الفترة من القرن 10م وحتى 12م..."[49].
- "...فغموض دون جوان...اتخذ الآن طابعا تاريخيا مثل الاستعارات الشعرية ذات الأصول العربية التي نجدها عند لوبي ديبجا وجون جوارى وكالديرون ..."[50].
- " و عندما اضمحل الحكم الإسلامي بعد القرن 12م، أخذت تضمحل العبقرية الإسبانية العبرية..."[51]
- " كما أن العرب كانوا أساتذة للمسيحيين في فن استخدام اليهود كأطباء و علماء ومصرفيين عموميين ودبلوماسيين وقائمين على أمر أموال الدولة و النبلاء، وقد كانوا يحظون بميزة فهم غير مسلمين..وقد وثق فيهم بعض الملوك و النبلاء ثقة عمياء..."[52].
- "وخلال القرن الثاني عشر كان ابن ميمون يكتب بالعربية كلغة من لغات الحضارات إذ كان الشرق المحور الذي يدور حوله"[53]
- " لقد كانت المناطق الإسلامية التي سيطر عليها القشتاليون على نفس شاكلة إيطاليا التي احتلها ملوك الأرغن، أي أنها كانت مصدر علم وتمييز"[54]
- "وعلى أي حال شخصيات علمية مثل ابن رشد وابن سينا ليس لها نظير عند اليهود"[55]

---

[48] ص 380
[49] ص 537
[50] ص 504
[51] ص 541
[52] ص 541
[53] ص 547
[54] ص 547
[55] ص 548





- "إلا أن شعر الإسباني العبري لا يمكن فصله عن الشعر الإسلامي سواء في الموضوعات أوالأسلوب"[56]

ثـالـثـا : الـبـعـد الـمـادي

- " كما أثنى لوبي دي بيجاهو الآخر على خيرات إسبانيا، وكان في ذلك على نفس الإيقاع الذي كان عليه المسلمون خلال العصور الوسطى:

هي الأرض الخصبة لا تتعب

من إنتاج الحبوب والفضة والذهب

ما رأيك يا سيدي في هذه الأرض ؟

ألا يسعدك النظر إليها "[57]

- " ولقد استخدم المسيحيون العديد من المبتكرات التي ابتدعها المسلمون سواء على الصعيد المادي أوالإنساني، غير أنهم لم يتمثلوا جيدا الأنشطة الإنتاجية لتلك المبتكرات ... وبالنسبة لي فما يفعله المسيحيون بسبب الموقف الحيوي الذي وضعهم فيه المسلمون إنما يرجع لتأثيرات إسلامية أيضا وله نفس الفاعلية التي عليها الكلمات التي استعارها المسيحيون من اللغة العربية"[58]
- " ورغم الانتصارات الكبرى على المسلمين كان على القشتالي أن يذعن و يقبل بتفوق عدوه في مجال الإفادة العقلانية مما تقدمه الطبيعة المحيطة ... غير أن الجنود المنتصرين لم يخفوا إعجابهم بعظمة المدينة التي استسلمت لهم فلم يكن لدى المسيحيين أعمال بهذه الرفعة، وهذا الرخاء الاقتصادي والنظام المدني والتقني والازدهار العلمي كانوا يفتقرون إليه :

---

[56] ص 614
[57] ص 45
[58] ص 61





- " يا للعظمة و الجمال والبهاء الذي عليه (مئذنة جامع أشبيلية) ... و كذلك العديد من الأعمال العظيمة التي لا تتوفر عندنا فقد كانت تصل إلى أشبيلية سلع من كافة المدن من طنجة وسبتة وتونس وبوجيه **Buia** و الاسكندرية وجنوة والبرتغال وإنجلترا وبورديوس وبايونة وصقلية وجاسكونيا وقطالونيا وأرغن وفرنسا أي الشمال " "[59]
- "ولو وضعنا قائمة للقرى التي يوجد بها حمامات في إسبانيا العصور الوسطى لتوفرت لدينا معلومة مهمة لقياس حجم التأثير فهناك الكثير من القرى الصغيرة في قشتالة كان بها حمام عام خلال القرن الثالث عشر رغم أن القليل منها اليوم لا يستخدم المياه الساخنة في الاستحمام"[60]
- " و هي فترة نرى فيها التأثير الإسلامي واضحا في نواحي الحياة والعادات، كما نرى الزخرفة المدجنة في العمارة الداخلية، و نقرأ قصائد الرومانث الخاصة بالحدود التي تتسم بالعذوبة و الشعبية:

كنت مسلمة

مسلمة من سلالة طيبة"[61].

- " استسلمت المدينة في شهر يوليو و قد مرت الحملة الملكية الأسقفية بعدة مشاكل قوية تتعلق بالمؤن، إذ نفذت وتولى رهبان لوريان..(وهو دير للمستعربين يقع في الأرضي الإسلامية، و هذا دليل على التسامح الإسلامي) حل تلك المشكلة"[62].
- "كانت العلوم الإسبانية إسلامية في هذه القرون [أي القرون الوسطى] ... وكانت مدرسة طليطلة المتخصصة في الثقافة الإسلامية معروفة للجميع"[63].

---

[59] الصفحات 65 - 66

[60] ص 101

[61] ص 110

[62] ص 153

[63] ص 261





خـاتـمـة:

كتاب (إسبانيا في تاريخها: المسيحيون والمسلمون واليهود) ليس كتاب تاريخ بالمعنى التقليدي، بل هو كتاب أرخ بإسهاب لنحو خمسة قرون من تاريخ إسبانيا الإسلامية، راصداً من خلالها الكاتب صور التفاعل الحضاري بين مكونات المجتمع، في محاولة ليست خافية لإظهار أن المسلمين ليسوا وحدهم على تلك المساحة، وإنما كان لليهود والمسيحيين إسهاماتهم المهمة أيضاً. ولعله من هذا المنظور، شاء أن يخترق المألوف في الدراسات، بما فيها الاستشراقية، التي قدمت المسلمين على أنهم ركيزة الحضارة، مؤثرين أكثر مما هم متأثرون في عالمهم الإسباني. ولكن كاسترو الذي أولى أهمية للأدب– منبهراً على الخصوص بابن حزم القرطبي– على حساب العلوم والفلسفة، لم يبدر منه ما يشي بالانحياز، وكان عموماً أقرب إلى الموضوعية[64]، يحاول رسم المسارات الثقافية لإسبانيا منذ دخول العرب إليها، عبر تصوير شخصيات فاعلة، شخصيات أسست لثقافة الحوار والتسامح وبناء المعنى الاجتماعي للثقافة والإنسان، وعبر تتبع تاريخ بعض المآثر. و هذا الكتاب يدعو قرائه لمعرفة تاريخ إسبانيا في روافدها الثلاثة: المسيحية واليهودية والإسلامية، و يدعو أيضا للنظر في تاريخ التأثيرات الثقافية الأوروبية نظرة أخرى، خاصة فيما يرتبط بالعلاقة بين الثقافة العربية والغرب، لأن الأندلس العربية ساهمت بشكل كبير في رسم صورة جديدة للعالم الغربي ووضعت أسسه الثقافية التي كانت منطلق حداثته. إنها دراسة تركز على الأسباب والطرق التي تمكننا من رؤية مركزية الأندلس في أوروبا، وتجعل القارئ ينظر إلى هذه الفترة الأندلسية–التي كان يحكمها المسلمون– بوصفها واحدة من أمجد فترات التاريخ الأسباني، بشهادة علماء غير مسلمين– يهوديين ومسيحيين.

و في الأخير، تبين لنا من خلال قراءتنا لكتاب أميركو كاسترو "إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود أن مساهمات المسلمين في أوربا العصور الوسطى كانت متعددة، و أثّرت في مجالات مختلفة كالفن والعمارة والطب والصيدلة والزراعة والموسيقى واللغة والتكنولوجيا، بحيث قد نهلت أوربا المعرفة من الحضارة الإسلامية، عن طريق نقل الكلاسيكيات وبالأخص أعمال الفيلسوف الإغريقي أرسطو، بعد ترجمتها من العربية.

---

[64] عبارات مقتطفة من عرض لهذا الكتاب للدكتور "إبراهيم بيضون" على موقع شذرات :
(http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=15083)



و عموما تبقى أقوال أميركو في كتابه هذا من الشواهد الغربية التي أشادت بالحضارة الإسلامية في كثير من المواضع.

و الحمد لله رب العالمين.